

## السريالية

### ١- تعريف السريالية:

هو مذهب ما فوق الواقع ، وواحد من التيارات التي فرضت كيانها في الربع الأول من هذا القرن ، وهو مذهب يعتمد الآلية النفسية البحتة ، وسيلة للتعبير عن اللاشعور وارتداد العالم اللاوعي ، ويرفض أية رقابة للعقل ، كما يرفض أي اهتمام بالفن أو اعتداد بالأخلاق . وفي دائرة المعارف الفرنسية ، أن السيريالية ، فلسفة مبنية على الاعتقاد بالواقعية السامية لبعض أشكال التآلف ، التي ظلت مهمة حتى مجيئها ، وعلى القوة العظيمة للحلم ، وعلى لعبة الفكر النزيهة ، أنها تهدف إلى هدم جميع الحركات الذاتية النفسية الأخرى ، وإلى التعويض عنها، بحل مسائل الحياة الأساسية.

والمذهب السريالي، - في ظل هذا الفهم - يخلق وراء الحدود الواقعية المألوفة، وقد أمد أصحابه الأداء والفنون، بما لم تألفه من غريب أو شاذ، واستخدموا ما لم يستخدمه الأدباء والفنانون من قبلهم، كالمزج في المسرحية الواحدة أو القصة الواحدة أو الصورة أو التمثال الواحد، بين تجارب العقل الواعي، والعقل الباطني وبما لا يخضع لأصول المنطق والتفكير المعقد السليم؛ وذلك لأن أهم قواعد هذا المذهب أن تتغلب سمات العقل الباطني على سمات العقل الواعي في عملية المزج بين تجارب كل منهما، في رواية الكاتب أو قصيدة الشاعر أو صورة الرسام أو تمثال المثال. ومن هذا يصح القول بأن السيريالية هي ثورة عنيفة في ميدان الأدب وميدان الفن.

ويحتج البرناسيون في رفضهم الواقع، بأن ما فوق هذا الواقع الذي نحيا فيه واقع آخر، أكثر عمقاً واتساعاً، وهو عالم اللاوعي، المكبوت في داخل النفس الإنسانية ويدعي هؤلاء أنهم يسعون إلى إطلاق هذا العالم وقد أباحوا لأنفسهم لتحقيق ذلك بعض الأساليب المصطنعة كالأفيون.

ويحاول البرناسيون أيضاً ( تسجيل هذا المكبوت في لوحات أو قصص أو مسرحيات غامضة مضطربة، أو هاذية محمومة، قد لا يدركون هم أنفسهم لها معنى، ولا يحددون هدفاً، وهي بالرموز والأحاجي، أشبه منها بالأدب والفن)

١- أنهم يهدفون في مذهبهم، إلى هدم ما في الحياة من واقع، ليبنوا بدلا منه عالما جديداً كل الجودة.ومن أجل ذلك، يريدون نمطاً جديداً للحياة، لا يكون الشعر والرسم منه إلا

- وسيلة كشف ومعرفة، وعناصر علم، تسمح بارتياح عالم اللاوعي، وأول من أوجد كلمة (سيرياوية) هو الشاعر (أبولينير) وذلك عام ١٩١٧ وقبل أن توجد الحركة نفسها.
- ٢- أخذ السيرياويون عن رامبو (الإستهانة بالأوزان والقوانين الشكلية ورمزية الكلمة) .. فالكلمة تشير إلى الشيء دون أن تفسره، كما تأثروا بفلسفة (بركسون) وآراء فرويد النفسية.
- ٣- أن السيرياوية، قد انطلقت بصورة مباشرة، من مدرسة الدائرية التي نادى بضرورة تحطيم الأساليب القديمة للتعبير، واكتشاف أساليب جديدة، وإن الكلمة لا تعني شيئاً، بل أن معناها يكمن في صورتها، وأن الفكرة تصاغ في الفم وليس في العقل.
- ٤- لم تتوقف السيرياوية عند حدود وظيفتها الأدبية والفنية حسب، وإنما تعدتها إلى الوظيفة الاجتماعية والسياسية، فقد نادى بالثورة على كل شيء واتخذت من بياناتها الاجتماعية ومن نشر الفضائح الاجتماعية، وسيلة للكشف عن منهجها ووظيفتها.
- ٥- مناداتهم بزحزة الواقع واستبداله بما فوق الواقع وما يحقق الغموض في ما سمي (بالكتابة الآلية)

ومن العوامل والأسباب التي مهدت لقيام هذا المذهب، الذي تطرف في مبادئه الفنية، ومواقفه الفكرية. تزعم القيم الأخلاقية، وانفلاتها من عقال العقل، على أثر الحرب العالمية، وكان لدعوة فرويد في أبحاث السيكولوجية الغريبة والتي أكدت هيمنة العقل الباطني وسيطرته على الإنسان، أثر في قيام هذا المذهب، وقوى هذه الأسباب، فلسفة هيغل التي دعت إلى ضرورة هدم الماضي، لإرساء مستقبل سعيد على أنقاضه، ورافق هذه الدوافع، دعوة كارل ماركس من ضرورة هدم النظام الرأسمالي، وإحلال نظام آخر محله، ينصف العامل ويشد من أزره، وينقذه من أياب الرأسماليين. لقد كانت هذه الأسباب حوافز شديدة الأهمية في قيام السيرياوية، وهي التي زعزت ثقة المجتمع الإنساني، بكل ما حوله من أنظمة وقوانين، امتدت آثارها إلى ميادين الأدب والفن، وكان من آثارها هذا المذهب الذي رأيناه يهدم ويشد ويتمرد على كل شيء.

وقد مثل المعرض العالمي للسيرياوية والذي أقيم في باريس عام ١٩٣٨ قمة نشاطهم فقد اشترك فيه سبعون فناناً من أربع عشرة دولة، وتمثل هذا النشاط في شخص (بريتون) أكبر زعمائهم، الذي وسع حدود نشاطه ليشمل الولايات المتحدة.

وقد كان ذلك عام ١٩٤٢، حيث نشر بياناً سيرياوياً أوضح فيه حقيقة السيرياوية، ودافع في بيانه عن مبادئها.

وعلى الرغم من النزاعات الكثيرة التي حدثت بين زعماء المذهب، والتي أخرجت العديد من كبارهم، فقد ظلت السيرالية تمارس نشاطها في شخص (بريتون) حتى وفاته ١٩٦٥ وفي كل تلك الفترة لم يخدم نشاطه بل لقد ترك آثاره في ميادين الأدب والنقد والفن سواء لدى السيراليين أو عند غيرهم.

### خصائص السيرالية:

تميزت السيرالية بالكثير من الخصائص التي ليس لها أصول معروفة أو متداولة لدى المذاهب السابقة لها، ولذلك كان الكثير من هذه الخصائص شاذاً وغريباً لم يألفه الناس من قبل، وأهم هذه الخصائص:

- أن السيرالية وفقت ومزجت وربطت بين أشياء ليست بينها صلات، أو علاقات متداولة أو مستعجلة، وهذا يمثل في نظر البعض، عودة إلى حالة التشويش البدائي، حيث تتعدل النسب، ويطل الممكن والمستحيل، وتسقط الاعتبارات المنطقية والواقعية. والذي يحقق هذا، هو عنصر المخيلة وحده، فهو الكفيل بتجديد العالم وخلقه في نظر السيراليين، ولذلك أنكروا الواقع، ورأوا فيه محدودية ضيقة بالنسبة إلى رحابة المخيلة التي تساوي رحابة النفس البشرية.

وأهم ما عني به السوراليون هو موقفهم من ماهية الشعر والشاعرية، فقوام الشعر لديهم، رفضه للمنطق، وتحرره من طغيانه، والشعر الجيد هو ما يعبر عن التفاهة والغرابة التي يعارضها المنطق، وهو لدى زعيمهم بريتون حالة داخلية ليس من الضروري أن تفصح عن ذاتها دائماً بالألفاظ أو عبر الألوان، والأشكال والأحجام، في سائر الفنون، بل الشعر هو موقف من وجهة نظر نرنو من خلالها إلى الأشياء. إنه حالة نفسية وفكرية، والشعر الجيد هو الذي يتداول العجيب والمدهش، وهو أيضاً محاولة لتحرير النفس ومحو الأفكار والأحكام والرؤى المسبقة القائمة فيها، ونزع الأحكام العرفية، والتقاليد في النظر والسمع وارتداد سائر الحواس، وحدود موضوعات الشعر ومعانيه، فأوجبوا أن يقتصر على الحالات الشاذة عن العرف والتقليد كالجنون والمرض والجريمة والقداسة، ويجب أن يخرج الموضوع عن المألوف والمعروف وعلى العقل أن يفقد في الشعر رقابته.

ولتحقيق ذلك، اقترح السيراليون على الشاعر أن يرتاد الأماكن غير الأنيقة، وغير اليومية، وغير الشائعة المعروفة كالقصور والغابات الكبرى والصحارى والأماكن البدائية، ولتمثيل هذه الحالة،

نستشهد بمقطوعة لرامبو بعنوان (السرية أو الصوفية) يقول فيها ! (على منحدر الأرض الهاوية يرقص الملائكة بأثوابهم الصوفية . وفي العشب الفولاذي والزمردى مروج من اللهب تنجم وتنبري من القلة الى اليسار ، فان تربة الذروة تبدو مداسة بأرجل القتلة والمعارك وكل الضجات الفاجعة تنسج خطها المنحني .

وراء الذروة إلى اليمين ، هناك خط المشارق . خط التقدم ، فيما الأفريز في أعلى اللوحة مؤلف من الدممة المتصعدة والدائرة من صدقات البحار والليالي الإنسانية ، ورقة النجوم المزهرة والسماء وما تبقى . ينزل في مواجهة التل كالسلة ، وضد وجهنا وتحدث الهاوية المرادة والزقاء فيما دون ) .

- وترفض السريالية في العمل كل عناية بالوصف الخارجي ، وتعمل على تحطيمه ، وذلك لبعدها صلته بالذات على وفق ما دعى إليه فرويد .
- من أهداف الحركة السريالية هو دمج حالاتها السياسية بالثورة الاجتماعية وقد أدى هذا إلى ارتباط العديد من زعمائها بالحركة الشيوعية . وحجتهم في ذلك هو مناداتهم بخدمة قضية الثورة .
- وتدعو السريالية إلى الثورة المطلقة والتردد التام والتخريب ، ولا ترى وسيلة إلى ذلك غير العنف .
- ومن شدوذها أنها تسعى إلى إلغاء التناقض بين الأشياء المتناقضة كالتناقض بين الحياة والموت ، والحقيقة والخيال ، والماضي والحاضر والظاهر والباطن ، والعالي والواطي ، .
- وفي اللغة دعوا إلى التجديد في الأسلوب ، بما أسموه ( النقد المبني على الهلوسة ) وفي اللغة أيضا ، عني السيرياليون عناية خاصة بالحوار .
- وفي المسرح يرفض السيرياليون التقيد في المسرحية بال قالب الواحد كما يصنع غيرهم ، ويؤثرون على ذلك ، التنقل في المسرحية الواحدة بين الأجواء المختلفة ... الأجواء المتحللة من الأعراف والتقاليد والمسرحية السريالية لا تشمل على الذروة التي هي ضرورية في مسرحيات بعض المذاهب الأخرى.
- ويعتد السيرياليون بما أسموه (الحلم) وهو ليس الحلم الواعي الذي نجد له نظيرا لدى الرمزيين والرومانتيكين ، وإنما هو الحلم ( بالفانوس السحري ) الذي يضيء الأستار ويوهجها وهذا الحلم ليس غاية في ذاته ، إنما اتخذها السيرياليون للتدليل على الواقع النفسي .

- وقد درس السورباليون أحوال الجنون ، وكان ممن درسه أحد أهم أقطابهم وهو (سلفادور دالي ) فهم يرون أن النفس تحت وطأة الجنون تتحرر تماما من وطأة العالم الخارجي .
- والسيرباليون يقفون ضد المنطق والحدس والوحي والتثقيف ، ويصدرون عن الآلية المباشرة وعلى وفق ما ترد لهم الأفكار والصور والرؤى والهديان والحلم.
- وقد اقتفى عدد من شعرائنا المعاصرين آثار السيرباليين في شعرهم ، أمثال عبد الوهاب البياتي ، خليل حاوي وصالح عبد الصبور وأدونيس ، وغيرهم من ذلك ما ورد للبياتي بديوانه (أباريق مهشمة ) :

شيد مدائنك الغداة

بالقرب من بركان فيزوف ولا تقنع .

بما دون النجوم

وليضرم الحب العنيف

في قلبك النيران والفرح العميق

والبائعون نسورهم يتضورون .

جوعا وأشباه الرجال

عور العيون

في مفرق الطرق الجديدة حائرون

ففي القصيدة ، صورة مبعثرة ، لا يربط بينها رابط ، وينعدم فيها السياق وكأنها كما يقول أحد الكتاب ، أشبه ما تكون بشريط من الصور شبه الهادية.